مفهوم البحث العلمي ومفهوم المنهج والمنهجية في البحث العلمي

المقدمة

البحث العلمي هو أحد الركائز الأساسية التي ترتكز عليها الأمم لتطوير المجتمعات وتعزيز المعارف البشرية، ومن خلاله يمكن فهم القضايا والمشكلات الهامة في المجتمع، كما يُمكن التوصل إلى حلول فعالة للعديد من التحديات. في هذا الإطار، تأتي أهمية تعريف البحث العلمي وفهم مكوناته المختلفة، ومن أبرزها "المنهج" و"المنهجية". تهدف هذه المحاضرة إلى توضيح هذه المفاهيم الأساسية بأسلوب علمي ومنهجي، مع التركيز على الفروقات بين المفاهيم ومدى ارتباطها ببعضها البعض.

محاور المحاضرة

1. مفهوم البحث العلمي: تعريفاته وأهميته وخصائصه.
2. مفهوم المنهج: تعريفه وأهميته وأنواعه.
3. مفهوم المنهجية: علاقتها بالبحث العلمي وتمييزها عن المنهج.
4. الفروقات بين المنهج والمنهجية.
5. تطبيقات عملية على استخدام المنهج والمنهجية في البحث العلمي.
6. الخاتمة.

أولاً: مفهوم البحث العلمي

1. تعريف البحث العلمي

البحث العلمي يُعرّف بأنه "عملية منهجية منظمة تهدف إلى الإجابة على تساؤلات أو حل مشكلات عبر جمع البيانات وتحليلها وتفسيرها بطريقة موضوعية ودقيقة] "1.[

أبرز التعريفات الشائعة للبحث العلمي:

- **تعريف جون ديوي :(John Dewey)** البحث العلمي هو الطريقة المنهجية التي يعتمدها الإنسان في سعيه لتحقيق المعرفة.
- **تعريف كيرلنجر :(Fred Kerlinger)** البحث العلمي هو تحقيق منظم يهدف إلى تطوير النظريات والقوانين في أي حقل معرفي.

2. .أهمية البحث العلمي

- **تطوير المعرفة البشرية :**البحث العلمي هو الوسيلة الأساسية لفهم الظواهر الطبيعية والاجتماعية.
- **حل المشكلات :**يوفر أدوات فعّالة لتحليل المشكلات وإيجاد حلول لها.

- **دعم التنمية المستدامة** :يساهم في وضع استراتيجيات للتنمية والتخطيط الاقتصادي والاجتماعي.
- **تحقيق الابتكار والتقدم العلمي** :يساعد على تطوير أدوات وتقنيات جديدة.

3. خصائص البحث العلمي

- **المنهجية** :يتبع خطوات محددة وواضحة لضمان الدقة والموضوعية.
- **الدقة** :يعتمد على جمع البيانات وتحليلها بدقة وموضوعية.
- **التكرار** :يمكن تكرار الدراسة للتأكد من صحة النتائج.
- **الابتكار** :يهدف إلى تقديم معرفة جديدة أو طرق لحل المشكلات.

ثانياً: مفهوم المنهج

1. تعريف المنهج

المنهج هو الطريقة أو الأسلوب الذي يتبعه الباحث لتنظيم أفكاره وتحقيق أهدافه في البحث. يُمكن تعريف المنهج أيضًا بأنه "مجموعة من الإجراءات والخطوات المرتبة التي يعتمد عليها الباحث في جمع البيانات وتحليلها لتحقيق أهداف البحث] "2.[

2. أهمية المنهج في البحث العلمي

- **توجيه البحث** :يساعد المنهج على تنظيم الخطوات اللازمة لإجراء البحث.
- **ضمان الموضوعية** :يُمكّن الباحث من اتخاذ قرارات قائمة على أدلة وبيانات دقيقة.
- **تحديد الأدوات** :يساعد في اختيار الأدوات المناسبة لجمع البيانات.

3. أنواع المناهج في البحث العلمي

أ. المنهج الوصفي

يُستخدم لوصف ظاهرة أو مشكلة معينة، ويشمل جمع البيانات وتصنيفها وتحليلها لفهمها بعمق.

- **أمثلة على تطبيقاته** :الدراسات الاجتماعية والاقتصادية.

ب. المنهج التجريبي

يُستخدم لإجراء تجارب علمية بهدف دراسة العلاقة بين المتغيرات المختلفة.

- **أمثلة على تطبيقاته** :العلوم الطبيعية والتجارب المخبرية.

ج. المنهج التاريخي

يعتمد على دراسة الأحداث والظواهر التاريخية لفهم التطورات والعوامل المؤثرة.

- **أمثلة على تطبيقاته :**الدراسات التاريخية وتحليل الوثائق القديمة.

د. المنهج المقارن

يُستخدم لمقارنة بين ظاهرتين أو أكثر بهدف تحديد أوجه التشابه والاختلاف.

- **أمثلة على تطبيقاته :**مقارنة السياسات التعليمية في الدول المختلفة.

ثالثاً: مفهوم المنهجية

1. تعريف المنهجية

المنهجية تشير إلى الإطار النظري والفلسفي الذي يوجه البحث، وتشمل المبادئ والأسس التي يعتمد عليها الباحث عند اختيار المنهج والأساليب البحثية. المنهجية ليست فقط مجموعة خطوات، بل هي "الطريقة التي يتبعها الباحث لفهم الإطار الذي يتناسب مع بحثه] "3.[

2. العلاقة بين المنهجية والمنهج

- المنهجية هي المستوى الأعلى الذي يحدد الإطار العام والفلسفة التي يعتمد عليها البحث.
- المنهج هو التطبيق العملي للمنهجية، ويشمل الأدوات والخطوات المستخدمة في الدراسة.

3. أهمية المنهجية في البحث العلمي

- **تحديد الإطار النظري :**تساعد على توضيح الأطر الفكرية التي يستند إليها البحث.
- **اختيار الأدوات المناسبة :**توجه الباحث في تحديد الأدوات التي تتناسب مع طبيعة البحث.
- **ضمان الاتساق :**تضمن أن تكون الدراسة متسقة مع الفرضيات والأهداف.

رابعاً: الفروقات بين المنهج والمنهجية

البند	المنهج	المنهجية
التعريف	الطريقة أو الأسلوب المستخدم لجمع البيانات وتحليلها.	الإطار النظري والفلسفي الذي يحدد كيفية إجراء البحث.
التركيز	خطوات عملية.	مفاهيم فلسفية ونظرية.
المستوى	مستوى تطبيقي.	مستوى نظري وفلسفي.
الوظيفة	توفير أدوات البحث.	تحديد فلسفة البحث وأهدافه العامة.

خامساً: تطبيقات عملية على استخدام المنهج والمنهجية في البحث العلمي

1. اختيار منهج مناسب بناءً على طبيعة المشكلة

- إذا كان الهدف وصف ظاهرة اجتماعية: يُستخدم المنهج الوصفي.
- إذا كان الهدف دراسة علاقة سببية: يُستخدم المنهج التجريبي.
- إذا كان الهدف تحليل تطور تاريخي: يُستخدم المنهج التاريخي.

2. الجمع بين أكثر من منهج

في بعض الدراسات، يمكن الجمع بين مناهج مختلفة لتغطية الجوانب المتعددة للمشكلة. على سبيل المثال، قد يجمع الباحث بين المنهج الوصفي والمنهج المقارن لدراسة ظاهرة ما في سياقات مختلفة.

3. أهمية التفكير المنهجي

يجب على الباحث أن يُفكر بشكل منهجي عند تحليل البيانات، بحيث يكون متسقًا مع الفرضيات والأسئلة البحثية.

سادساً: فلسفات البحث العلمي وأثرها على اختيار المنهج والمنهجية

للبحث العلمي أساس فلسفي عميق ينعكس على كلٍ من المنهج والمنهجية. تتعدد الفلسفات التي يعتمد عليها الباحثون، وتتداخل مع نوعية الأبحاث وطبيعتها. ومن أبرز هذه الفلسفات:

1. الفلسفة الوضعية(Positivism)

- **المنطلق الأساسي:** تعتمد على فكرة أن العالم الخارجي يمكن ملاحظته وقياسه بشكل موضوعي ومستقل عن الباحث.
- **الأدوات والمنهجيات المناسبة :**
  - استخدام المناهج الكمية مثل التجارب والاستبيانات.
  - تحليل البيانات الإحصائية للوصول إلى نتائج قابلة للتعميم.
- **أمثلة تطبيقية:** الدراسات المتعلقة بالعلوم الطبيعية، مثل تحليل تأثير مادة كيميائية معينة على نمو النباتات.

2. الفلسفة التفسيرية(Interpretivism)

- **المنطلق الأساسي:** تركز على فهم الظواهر من منظور المشاركين فيها، حيث تعتمد على السياقات الاجتماعية والثقافية.
- **الأدوات والمنهجيات المناسبة :**
  - استخدام المناهج الكيفية مثل المقابلات المتعمقة والملاحظة.

- تحليل الظواهر بعمق دون السعي للتعميم.

- **أمثلة تطبيقية:** دراسة تجربة المهاجرين في التأقلم مع مجتمعات جديدة.

3. الفلسفة النقدية(Critical Theory)

- **المنطلق الأساسي:** تهدف إلى تحليل الظواهر الاجتماعية وكشف الأنماط غير العادلة أو المهيمنة.

- **الأدوات والمنهجيات المناسبة :**
  - الجمع بين المناهج الكمية والكيفية.
  - التركيز على تحليل الخطاب والنظريات النقدية.

- **أمثلة تطبيقية:** دراسة تأثير وسائل الإعلام على تشكيل القيم الاجتماعية.

4. الفلسفة البنائية(Constructivism)

- **المنطلق الأساسي:** تؤكد على أن المعرفة هي بناء اجتماعي يتم تشكيله من خلال التجارب الفردية والاجتماعية.

- **الأدوات والمنهجيات المناسبة :**
  - المناهج الكيفية مثل دراسات الحالة وتحليل المحتوى.

- **أمثلة تطبيقية:** دراسة كيف يبني الأفراد فهمهم للمفاهيم الصحية في المجتمعات الريفية.

سابعاً: الأخطاء الشائعة في اختيار المنهج والمنهجية

1. الخلط بين المنهج والمنهجية

- كثير من الباحثين يخلطون بين المصطلحين، مما يؤدي إلى عدم وضوح الخطة البحثية.
- على سبيل المثال، قد يُخطئ الباحث في وصف "المنهج الوصفي" كـ"منهجية"، مع أن الأول خطوة تطبيقية والثاني إطار نظري.

2. اختيار منهج لا يناسب طبيعة المشكلة

- مثل استخدام المنهج التجريبي لدراسة ظاهرة تاريخية، حيث يكون المنهج التاريخي أكثر ملاءمة.

3. عدم التوافق بين أدوات البحث والمنهجية

- على سبيل المثال، استخدام استبيانات مغلقة في بحث يهدف إلى دراسة تجارب شخصية معقدة (حيث يكون المنهج النوعي أكثر دقة).

4. الاعتماد على منهج واحد فقط

- في كثير من الأحيان، قد يكون الجمع بين المناهج (Mixed Methods) أكثر فعالية للحصول على نتائج شاملة.

ثامناً: العلاقة بين المنهجية والعلوم المختلفة

1. العلوم الطبيعية

- تعتمد بشكل رئيسي على المناهج الكمية والمنهج التجريبي.
- **مثال:**
دراسة تأثير درجة الحرارة على معدل تفاعل كيميائي.

2. العلوم الاجتماعية

- تتراوح بين المناهج الكمية (مثل الاستبيانات) والمناهج الكيفية (مثل المقابلات والملاحظات).
- **مثال:**
دراسة أنماط السلوك الاجتماعي في المدن الحضرية.

3. العلوم الإنسانية

- غالبًا ما تعتمد على المناهج الكمية والكيفية، مثل المنهج التاريخي أو التحليل النقدي أو الوصفي...
- **مثال:**
تحليل الروايات الأدبية لفهم التغيرات الثقافية في عصر معين.

تاسعاً: حالات دراسية لتوضيح التكامل بين المنهج والمنهجية

الحالة الأولى: دراسة تأثير وسائل التواصل الاجتماعي على التحصيل الدراسي

الإطار العام (المنهجية):

- تبني منظور وضعية لفهم العلاقة بين متغيرين.

المنهج المستخدم:

- المنهج الوصفي التحليلي.

الأدوات:

- استبيانات كمية تجمع معلومات حول استخدام الطلاب لوسائل التواصل الاجتماعي وأدائهم الأكاديمي.

الحالة الثانية: دراسة أسباب عزوف الشباب عن القراءة

الإطار العام (المنهجية):

- تبني منظور تفسيرية لفهم التجارب الشخصية.

المنهج المستخدم:

- المنهج النوعي باستخدام دراسات الحالة.

الأدوات:

- مقابلات متعمقة مع الشباب لتحليل الأسباب النفسية والاجتماعية.

الحالة الثالثة: تحليل التطور العمراني في المدن العربية خلال القرن العشرين

الإطار العام (المنهجية):

- منظور بنائي لفهم التغيرات المعمارية وتأثيرها الثقافي.

المنهج المستخدم:

- المنهج التاريخي مع تحليل وثائق وأرشيفات.

الأدوات:

- تحليل صور قديمة وتقارير تخطيط المدن.

الخاتمة

إنّ البحث العلمي هو عملية متشابكة تتطلب استيعاب الطالب وفهمه لكل من المنهج والمنهجية. حيث تُعتبر المنهجية البوصلة التي توجه الباحث في اختياره للإطار الفلسفي والتوجيهي المناسب، بينما يمثل المنهج الخطوات العملية التي يتم اتباعها لتحقيق أهداف البحث.

إن الوعي بالفروق بين هذين المفهومين يعزز من جودة الأبحاث، ويجنب الباحث الوقوع في الأخطاء التي قد تؤثر على مصداقية النتائج. وعلى الرغم من تنوع المناهج وتعدد الفلسفات، فإن التكامل بينها هو مفتاح النجاح في البحث العلمي، مما يفتح آفاقًا جديدة للابتكار والتطور.

المراجع:

1. Creswell, J. W. **Research Design: Qualitative, Quantitative, and Mixed Methods Approaches**. Sage Publications, 2021.
2. Crotty, M. **The Foundations of Social Research: Meaning and Perspective in the Research Process**. Sage, 2020.
3. أحمد، علي .**منهجية البحث العلمي: الأسس والتطبيقات** .دار الفكر العربي، 2021.
4. كيرلنجر، فريد .**أسس البحث العلمي** .مكتبة الأنجلو المصرية، 2019.
5. ديوي، جون .**التفكير المنهجي في العلوم** .دار المعارف، 2020.

6. ديوي، جون .**التفكير المنهجي في العلوم** .ترجمة: أحمد زكي. دار المعارف، 2020.
7. كيرلنجر، فريد .**أسس البحث العلمي** .ترجمة: محمد خليل. مكتبة الأنجلو المصرية، 2019.
8. أحمد، علي .**منهجية البحث العلمي: الأسس والتطبيقات** .دار الفكر العربي، 2021.